

## العنف على المرأة والصحة العقلية عند اللاجئات ونساء المجتمعات المضيفة

ألينا بُتس وراسيل بَرَدَا وأنجلا بوراسا

تتفاقم وجوه الخلل في القوة والمساواة بين الجنسين فتعرض النساء والفتيات المهجرات لخطر العنف عليهن بسبب وجوه الضعف المتعلقة بالحالة القانونية والأمن الاقتصادي والوصول إلى الخدمات وأحوال المعيشة. ومن المهم فهم عوامل الخطر والحماية وتحديد ما لتحسين السبل التي تقضي بها حاجات كل من اللاجئتين والمجتمعات المضيفة.

هذا، وعدد النساء السوريات اللواتي انطبقت حالاتهن على معايير الضائقة النفسانية الشديدة أكثر عدد النساء اللبنانيات في ذلك. وقد فُسر هذا الاختلاف في فرق التركيز فقيل إنه ناجم عن الضغط أو القلق جلبه مجهد مالي وأسري، والحيرة في الحاضر والمستقبل، والانفصال من الأسرة، والوصم المرتبط بصفة اللاجئ. وارتبط وجود مشكلة خطيرة في بُعد واحد فقط من وجوه الاستضعاف في البيئة المحيطة بمعدل أعلى بكثير من الضائقة النفسانية الشديدة بالقياس إلى اللائي ليس فيهن مشكلات خطيرة. وكان عدد وجوه الضعف التي تسبب مشكلات خطيرة مرتبطة ارتباطاً قوياً بزيادة معدلات الضائقة النفسانية الشديدة.

وذكرت كل من النساء اللبنانيات والسوريات طبيعة التعزيز المتبادل بين الصحة البدنية والصحة العقلية، وكيف يمكن أن تمنعهن الإصابة بأمراض مزمنة أو علل جسدية من الاعتناء بأنفسهن، وكيف يمكن أيضاً أن تظهر آثار الصحة العقلية في هيئة أعراض جسدية.

### وجوه استجابة النساء

كان عدد النساء السوريات اللائي التمسن خدمات الاستجابة للعنف، وبخاصة خدمات دعم الحال النفسانية الاجتماعية أو الصحة العقلية، أكثر من عدد النساء اللبنانيات اللواتي التمسن ذلك، على أن عدد النساء اللبنانيات اللائي التمسن مزيد التعليم والتدريب المهني أكثر من النساء السوريات. وكان العائق الأساسي الذي اعترض البحث عن الخدمات هو أن النساء إما لم يكن يعرفن أن الخدمات حاضرة، يلي ذلك اعتقادهن بأنهن لا يحتجن إلى خدمات لمعالجة العنف. ومثل ذلك أن العامل الأساسي الداعم لطلب الإعانة هو أن تكون الخدمات موجهة بوضوح إلى الناس من مشاربهم وحالاتهم، ولا سيما للنساء السوريات. وهذا متصل بكيفية الإعلان عن الخدمات، ومكان وجودها (مثال ذلك أن تكون حاضرة في مراكز المدن أو بالقرب من المستوطنات التي يعيش فيها اللاجئون)، وكيفية هيكلتها (مثال ذلك أن تقدم في مراكز قائمة برأسها أو داخل مراكز «جامعة لكل الخدمات» تديرها الحكومة مع عدد من موصلي الخدمة الآخرين).

أجرت منظمة أبعاد، وهي منظمة لبنانية تعمل على جميع جوانب الوقاية من العنف الجنساني على المرأة والاستجابة له، ومعها معهد المرأة العالمي ومقره الولايات المتحدة، أجريا استطلاعاً للاجئات السوريات والنساء اللبنانيات والفلسطينيات لفهم تجاربهن في العنف الجنساني على المرأة وفي دعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية. وقد أجري الاستطلاع في أيار/مايو سنة ٢٠١٩ بمعاونة أكاديميات ومقدمات خدمات لبنانيات في ميدان العنف الجنساني على المرأة ودعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية. ثم استكمل معطيات نوعية جمعت في مناقشات دارت بين فرق التركيز وقادة المجتمع المحلي ومزاولين في ميدان العنف الجنساني على المرأة ودعم الصحة العقلية والحال النفسانية الاجتماعية وأفراد المجتمع المحلي، وذلك لفهم تصوراتهم لحسن الحال المرء ولكل موعوق وكل العوامل في دعم الخدمات المنسقة في هذين القطاعين.<sup>٢</sup>

ومن بين ٩٦٩ امرأة قد قُوِّلت، ذكر ٧٩٠ منهن أنهن يعانين من مشكلات خطيرة بسبب واحد أو أكثر من وجوه ضعفهن في محيطهن: انعدام الأمن الغذائي (٧١٪)، والصحة البدنية (٦٢٪)، والانفصال من الأسرة (٥٦٪)، والسلامة والأمن حيث يعشن (٥٠٪). وحددت المشاركات في مناقشات فرقة التركيز قلة الوصول إلى الموارد المالية وقلن إنه السبب الرئيس في وجوه الضعف هذه بين المجتمعات المضيفة ومجتمعات اللاجئتين بالسواء. والعنف الجنساني على المرأة شائع بين هذه الفئة من السكان. فقد أشار أكثر من ثلث النساء إلى أنهن تزوجن قبل أن يبلغ السن ١٨ من عمرهن، وأكثر من ثلاثة أرباع النساء اللائي لهن شريك أو سبق أن كان لهن شريك قلن إنهن تعرضن لعنف العشير، ونصفهن تعرضن لذلك في خلال السنة الماضية. ثم إن ثمانية نساء من كل عشرة نساء عانين عنف العشير انطبقت حالاتهن على معايير الضائقة الشديدة،<sup>٣</sup> وأيضاً فالسيطرة القسرية عامل خطر مهم للضائقة النفسانية. وكان الزواج القسري أو زواج الأطفال أحد أكبر عوامل الضائقة النفسانية مع ضغط هائل على الفتيات العرائس، فكان لذلك أثر في علاقتهن بالزوج وبأطفالهن في المستقبل.

كلفة النُّقل). وينبغي تأمين وسائل النُّقل ورعاية الأطفال ما أمكن. ويمكن أن تزداد مسارات الإحالة بين مقدّمات الخدمات في العنف الجنساني على المرأة ودَعْمُ الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ والحَالِ النَفْسَانِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وذلك بضمان تحقيق خدمات مناسبة للسَّن. فكثيراً ما كانت الخدمات مثل دعم الحال النفسانيّة الاجتماعية متاحة للبالغين الشباب ومتوسطي السَّن، ولكنها لم تكن متاحة دوماً للأطفال والمراهقين وكبار السَّن.

وقد أشارت المشاركات في فرقة التركيز إلى الوَصْمِ الهائل المتعلقة بالتماس خدمات الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ، ونقص مقدّمات الخدمة المُوهَّلات، وانتفاء الأمانة الآمنة التي تحفظ فيها السريّة في المخيمات، وقلن إن كل ذلك عوائق أمام الرعاية. ويجوز أن تعالج هذه المقلقات طُرُقَ المقاربة المُبتدعة، مثل استعمال خدمات الهاتف المحمول ذات الحيز المادي الآمن والحافظ للسريّة لتقديم الخدمة.

وهناك حاجة إلى جلسات توسيع المدارك لمعالجة مسألة لقاء اللوم على الناجيات (أي لقاء اللوم على الناجيات من العنف الجنساني على المرأة في تجربتهن المرّة، وهو ما له سوء أثر في صحتهن العَقْلِيَّةِ ويؤدي أيضاً إلى استمرار الوَصْمِ) ولا يقتصر قصدها على أفراد المجتمع المحلي ولكن تشمل أيضاً مقدّمات الخدمات أنفسهم. وينبغي للفاعلين في ميدان العنف الجنساني على المرأة الاستمرار في عقد جلسات توسيع المدارك على صعيد المجتمع المحلي في الجنسانية والعنف الجنساني على المرأة، إضافة إلى الإقرار بالضايق النفسانيّة والاستجابة لها، وتقديم آليات داعمة في الصُّمود لصعوبة المعيشة والأحوال. وينبغي أن تشمل التدرّيات الوقاية من الاستغلال والانتهاك الجنسين والاستجابة لهما، ولا سيّما في الأزمنة الاقتصادية الراهنة. وينبغي للفاعلين في ميدان العنف الجنساني على المرأة أن يستمروا في عقد جلسات توسيع المدارك في آثار السُّوء الجسمانيّة والنفسانيّة والاجتماعيّة التي يخلفها الزواج القسريّ والزواج المبكر. وينبغي أن تتولى الحملات المجتمعية إزالة الوَصْمِ من المحادثات الدائرة حول الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ باستعمال مصطلحات محلّية متّصلة بالأمر. ذلك أن المصطلحات المتداولة لوصف الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ (أو اعتلال الصَّحَّةِ) بين هؤلاء السكّان منحرفة عن المصطلحات السائدة (مثل الاكتئاب). وقد هوّن كثير من المشاركات في فرقة التركيز من تجاربهنّ في الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ باستعمالهنّ مصطلحات أطفأ أو مُكْنِيات (مثل ضغط بالمعنى العامي) لوصف أعراض أكثر حدّة، كالقلق الشديّد.

ويمكن إذا ضُمَّت إتاحة الخدمات للجميع بوضوح أن تُعِين على معالجة المعوّقات التي تحول دون وصول أفراد

وقد بحثت معظم النساء عن المؤاساة في دينهن ليتصدّين للعنف. فكانت الصلاة الآليّة المشتركة الوحيدة للتصدّي لصعوبة المعيشة بين المشاركات في الاستطلاع وفرق التركيز. ووصفت إحدى النساء تجربتها في الأخذ بالوجوه الروحانية للتصدّي لصعوبة التجارب اليومية، قالت: «أصعد إلى حافة الوادي وأخاطب الله تعالى. أقتعدُ وأشرب كوب شاي من الأعشاب، وأدخن سيجارة، وأصرخ ما وسعني الصراخ، ثم أعود».

وقد ذكرن أن اللَّيَّات التصدّي لصعوبة المعيشة كانت مفيدة في العثور على عمل، وإشراك قادة المجتمع المسؤولين عن الأمن في مستوطنات من خيام غير الرسمية، واستعمال مُخففات الآلام أو أدوية أخرى. وقال نحو من ثلاثة أرباعهنّ أنهنّ طلبن المشورة في ما ينبغي فعله ووجدن دعم الحال الانفعاليّة من المقرّبين منهنّ مفيداً. وقد وصفن البكاء أو تركّ الحبل للمشاعر بأنهما «لا طائل دونهما» ذلك أن «الكمد باقي في النفس».

وتشير الأدلة المروريّة من موظفي منمّمة أبعاد إلى أن وجوه الضعف قد زادت زيادةً بيّنة بين جميع سكان لبنان منذ أن جَمَعَت المعطيات في أيار/مايو ٢٠١٩، إذ فقد كثير منهم دخلهم، وأبلغت النساء عن ارتفاع معدلات العنف الجنساني على المرأة والضايق النفسانيّة. وقد تفاقمت هذه الحال منذ الانفجار الذي وقع في بيروت في ٤ آب/أغسطس ٢٠٢٠ ومنذ تفشّت جائحة داء الحُمّة التاجية (كوفيد ١٩)، فسرعَ الإنهيار الاقتصادي في لبنان، وعزل الناجيات من العنف الجنساني على المرأة مع مرتكبها، وإنشاء حواجز ماديّة بين المتضرّرات وأنظمة دعمهنّ. ويضاف إلى ذلك، أنه عُلفت كثير من الخدمات أو كُيِّفت في أثناء الجائحة، فضاقت سُبُل الناجيات.

على أنه خرج عن فرق المناقشات المركّزة أن علّمت معاني كلمات مثل الضغط والغضب، فعُرف أنها مرتبطة بسوء الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ. وقد لا يشير هذان المصطلحان في اللغة الإنجليزيّة إلى نزاع الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ، ولكن في هذا السياق تميل النساء إلى التهوّن من أعراضهنّ بسبب الوَصْمِ والضغط الاجتماعي على أن «تقوين جاشهنّ» أو أن «تستجمعن عزّمنهنّ» أو كما يقال لهنّ بالعاميّة (شديّ حالك).

## التوصيات

ينبغي أن تسعى مقدّمات الخدمات إلى تقديم خدمات شاملة، منخفضة الكلفة أو بلا تكلفة، في العنف الجنساني على المرأة وفي دَعْمِ الصَّحَّةِ العَقْلِيَّةِ والحَالِ النَفْسَانِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، مع دعم الإحالات، في أمكنة آمنة، موزّعة بحسب مقتضى الحال (لتقليل

ألينا بوتس [@alina\\_potts](mailto:apotts@gwu.edu)  
عالمة بحوث، في معهد المرأة العالمي

راسيل برّدا [rbarada@gm.slc.edu](mailto:rbarada@gm.slc.edu)

مستشارة في الحماية من الاستغلال والانتهاك الجنسيين والعنف  
الجنساني على المرأة، في منظمة أبعاد منطقة الشرق الأوسط  
وشمالي إفريقيا

أنجلا بوراسا

[@ABourassaMPH](mailto:abourassa@gwu.edu)

باحثة مشاركة، في معهد المرأة العالمي

١. انظر أيضاً [www.fmreview.org/detention/anani](http://www.fmreview.org/detention/anani).

٢. معهد بحوث مقره جامعة جُرج واشنطن

<https://globalwomensinstitute.gwu.edu/>

٣. سيصدر عمياً قريب مؤلف بالنتائج كلها راجعه الأقران.

٤. استُعملت أداة تقدير من مقياس كِسلر للضائقة النفسانية (K6+) لقياس الضائقة  
النفسانية.

انظر:

Segal S P, Khoury V C, Salah R and Ghannam J (2018) 'Contributors  
to Screening Positive for Mental Illness in Lebanon's Shatila Palestinian  
Refugee Camp'. *The Journal of Nervous and Mental Disease* 206(1)

(المساهمون في تحري الإصابة بالمرض العقلي في مخيم شاتلا للاجئين الفلسطينيين في

لبنان) <https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/28976407>

المجتمع المضيف واللاجئات والعاملات في المنازل المهاجرات  
إلى الخدمات، فكثير منهن سيكون لهن معرفة قليلة بهذه  
الخدمات أو اعتقاد بأن فتنهن السكانية غير مقصودة  
بالخدمات.

وأعمال التمكين الاقتصادي مهمة لاعتراض تأثير وجوه الضعف  
في البيئة المحيطة. وينبغي أن تُقلل مثل هذه البرامج ما  
أمكن التقليل من خطر العنف الجنساني على المرأة الناتج عن  
المتحدي الذي قد ينشئه دخل المرأة في الشؤون الجنسية  
السائدة، وذلك بإجراء تقدير شامل للجنسانية وللعنف  
الجنساني على المرأة لإعلام إعداد البرنامج ورصدها وتقويمها،  
مع توجيه تقني من الفاعلين في ميدان العنف الجنساني على  
المرأة.

وأخيراً، من المهم الإقرار بأن عند اللاجئات وجوه ضعف  
مُحددة، وقد يَكُن أكثر ارتياحاً لطلب الدعم من مقدّمات  
الخدمات اللاتي يأتين من المشرب نفسه الذي أتت منه ما  
استطيع ذلك. ثم إن إشراك الأعضاء السوريات من المنظمات  
الإنسانية في توسيع المدارك أو الخدمات الأخرى، أو العمل  
مع مقدّمات الخدمات السوريات غير الرسميات أو قائدات  
المجتمع المحلي، لبناء الثقة مع أفراد مجتمع اللاجئين، يمكن أن  
يُعين على معالجة هذه المسألة.